

الحريم السلطاني ودوره في الحياة العامة

من تاريخ الدولة العثمانية

د. عماد الجواهري *

مذخل :

كان السلاطين العثمانيون في المرحلة الاولى من عمر الدولة العثمانية يتزوجون نسوة كن في الغالب ينتسبن الى عائلات عثمانية نبيلة .

وفي ظروف الاحتكاك العثماني بدول اوربا ، عقد السلاطين العثمانيون زيجات سياسية توطدت في اثرها علاقاتهم مع بعض ملوك وامراء اوربا . وكان للسلاطين العثمانيين ايضا الجواري او السرايا المتفرشات ممن كن يقعن في الاسر ويفقدن حرياتهن بسبب ظروف التوسع العثماني او ممن يقدمن هدية للسلطان (١) .

ولقد كان عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ — ١٥٦٦) بداية لمرحلة جديدة اذ ادى زواجه من روكسلانه ، وهي جارية من جواريه ، الى خلق سابقة خطيرة ذلك لان السلاطين الذين جاءوا بعده اصبحوا يتزوجون من الجواري الحسان اللاني يتربين في البلاط (٢) كان هذا العمل الذي قام به السلطان سليمان القانوني قد اثار دهشة الكثيرين يومذاك (٣) .

والحق فان اسلافه الذين تركوا العقود الزوجية منذ زمن — حوالي نصف قرن (٤) — لم يجد احد منهم ضرورة لاعلان زواجه من جاريته كما فعل سليمان . ومهما يكن من امر فان دخول الجواري والسرايا الى العائلة السلطانية ادى الى تطورات مهمة فيها .

تطور مصطلح الحريم :

الحريم بالكسر الحرام . والحريم هو الممنوع ، وما حرم فلم يمس . وسميت نساء الرجل الحريم ، « وحرملك بضم الحاء نساؤك » وحرمة الرجل : حرمة واهله . والحريم ايضا ما يحميه الرجل ويقاثل عنه (٥) . اما مكان الحريم فهي اجزاء البيت التي تسكنها النساء (٦) .

* استاذ التاريخ بكلية الاداب في جامعة الموصل

ويمكن التمييز بين معنيين لمصطلح الحریم . استعمال الاول لفظة اريد بها اهل الرجل ونساؤه ، واستعمل الثاني للإشارة لمؤسسة تطورت خلال العهود المتأخرة للدولة الإسلامية وكانت تضم في البداية الجوّاري أو السرايا (٧) وهن اللاتي عرفن بالمحظيات (٨) وعين عليهن الحرس «٩» ويقال أن ذلك كان يجري بشكل طبيعي وخاصة في بيوت الاسر الثرية . (١٠) ثم صارت تضم الزوجات والبنات والأميرات بعد أن أصبح افراد العائلة ، وخاصة الاسر الحاكمة ، منحدرين من أولئك المحظيات عندما ولدن اميرات وامراء قدر لهم أن يشغلوا مراكز آبائهم ... السابقة (١١) .

ومن المهم الإشارة الى أن العرب كانوا يفرقون تفريقا واضحا بين النساء الحرائر وغيرهن من الاماء ، فقد اطلقوا كلمة « الامة » على المرأة غير الحرة ، ويكون ابناؤها عبيدا أيضا ما لم يعتقهم سيدهم ويلحقهم بنسبه . اما المرأة الحرة أو الزوجة فلها مكانة اجتماعية خاصة ارتقت بعد مجيء الاسلام كثيرا . ومعروف أن الاسلام حسن من وضع ابناء الاماء فجعلهم احرارا وصاروا يلحقون « بأشرف النسبين » كما جعل لهم حقا في الارث (١٢) . وبالرغم من أن الاسلام ولم يحرم عبودية غير المسلم الا انه حث المسلمين على عتق العبيد وخصص لهم جزءا من أموال الغنائم والزكاة ينفق في عتق رقابهم . كما لوحظ أن الخلفاء والامراء المسلمين كانوا يعتقون عبيدهم في مناسبات متعددة تبعا لدرجة ايمانهم . وقد وسم بروكلمان نظام الحریم بانه : « نظام تعدد الزوجات » (١٣) وهو رأي لا يؤخذ به للأسباب التالية :

- ١ — أن نظام الحریم تطور خلال العصور الإسلامية وهو لم ينشأ للزوجات الشرعيات عموما وانما للمحظيات أو السرايا .
- ٢ — أن مكانة الزوجة وحقوقها كانت كبيرة بحيث لاتقارن بالجارية أو المحظية
- ٣ — أن الاسلام وان سمح بتعدد الزوجات الا انه حددها بشروط .

الحریم ثروة للسلطان :

لما كانت المنزلة الاجتماعية للعبد ممسوخة فقد ارتقت مقابل ذلك مكانته الاقتصادية . فامتلاكه من لدن الآخرين جعله كأيّة سلعة يباع ويشترى . وقد ادركت الشريعة الإسلامية عنف الاستغلال الذي يتعرض له العبيد بسبب كونهم « متاعا » ، لذا فقد منعت استرقاق المسلم (١٤) . وطبقا لهذه القاعدة فإن النسوة الرقيق كن عموما اجنبيات غير مسلمات ، لان الاسلام حلل استرقاق النساء من دار الحرب ونهى عن قتلهن (١٥) . كما جوز شراء الرقيق من دار الحرب أيضا وجلبهن الى دار الاسلام (١٦) .

ومنذ فترة مبكرة من تاريخ آل عثمان ، عندما كانت الحروب تمثل الطابع العام للعلاقات بين الدولتين العثمانية والبيزنطية ، لوحظ بشكل واضح أن السلاطين والامراء العثمانيين كانوا يهتمون بغنائمهم من الاسرى (١٧) أو الرقيق نساء وصبية (١٨) ، وكانت غنائمهم تلك اموالا سعوا الى تنميتها باعتبارها من مظاهر الثراء والقوة . ولما لم تعد الحرب — فيما بعد — مصدرا مهما للسرايا أو الجواري ، نشطت تجارة الرقيق لتعويض النقص الحاصل في المصدر الاول . واستمرت تجارة الرقيق في رواجها لسببين (١٩) : يتعلق الاول بطبيعة مجتمع تلك الفترة القائم على القهر والاستعباد ، والذي كان الرقيق مظهرا من مظاهره . اما العامل الثاني فهو الثروة الطائلة التي جناها التجار من وراء هذه التجارة وفي ذلك يقول غيب وباوون : « ان القوقازيين اتجهوا من انفسهم الى تجارة الرقيق المربحة هذه » . (٢٠)

اما الامراء والحكام العثمانيون فكانت تحدوهم رغبة قوية لان تكون جهودهم في هذا المجال سببا لتسليم المناصب العليا في الدولة ونيل رضا اسيادهم . وهكذا كانت الفتيات يشتري (٢١) ويلحقن بدار السلطان والامكة (دار الحريم) في سني عمرهن المبكرة التي كانت عادة ما بين العاشرة أو الحادية عشرة والغالبية العظمى منهن يقضين في هذه الدار زهرة شبابهن حيث تحددت وظيفتهن بالوقوف على خدمة السلطان ومتعته (٢٢) . وحين يبلغن الخامسة والعشرين من عمرهن كن يغادرن الحريم ويبدان حياة جديدة بعد أن يحصلن على حريتهن في الغالب (٢٣) .

عالم الحريم الصغير :

قدمت الكاتبة (Ruphaela Lewis) وصفا دقيقا لعالم الحريم الخاص فقالت : ان الحريم يعيش في دار محصنة مسورة بأسوار عالية ينفذ منها سالك هذه الدار بواسطة ممر خاص يتحكم فيه بابان احدهما من الحديد والثاني من النحاس يحرسهما رئيس الخصيان ليلا (٢٤) ويسلم مفاتيحهما الى الحرس . في صباح اليوم التالي . وتقوم على حراسة الدار ايضا مفرزة البلطجية (٢٥) وظيفتها منع اي انسان من دخولها باستثناء السلطان والخصيان . وكان من النادر أن يسمح لغيرهم كاخوة الحريم وآبائهن الوصول الى مكان اقامتهن (٢٦) .

والنظام الداخلي لمؤسسة الحريم هذه يثير التأمل حقا . فالنساء الحرائر في مختلف العصور الاسلامية لم يكن يعرفن مثل هذه القيود الشديدة . ورغم أن الشريعة الاسلامية دعت نساء النبي الى أن يقمن في بيوتهن (٢٧) إلا أنها لم تفرض عليهن ستارا حديديا . لذا يمكن تفسير هذه الظاهرة الجديدة في

ضوء حقيقة كون الحريم العثماني عبارة عن ثروة للسلطان . وهي ملكه ومتاعه ، وبالتالي فإن النظم الصارمة التي وضعت لهذه المؤسسة تعبر عن قدسية وحرمة الملكية الخاصة . ويؤيد هذا الاستنتاج طبيعة المعاملة التي كان السلطان يحظى بها عند وجوده في دار الحريم :

« وفي هذا العالم يجد السلطان معاملة كما لو كان فيها بمنزلة الآله ، وما من واحدة منهن تجرؤ على الكلام امامه او حتى النظر اليه » (٢٨) .
والواقع ان الحكام المسلمين في العصور الاسلامية لم يقبلوا بمثل هذه المعاملة الا في حالات شاذة . ويبدو ان العامل الزمني لعب دورا مهما في تكريس هذه الممارسات مما حمل السلطان العثماني على الاعتقاد بانه يملك رقاب الجميع (٢٩) .

مراتب الحريم :

كان للسلطانة الوالدة ، (٣٠) وهي الشخصية الاولى في الحريم ، نفوذا عظيما على الجميع (٣١) . وكان من الامور المعتادة ان توجه اوامر مباشرة الى الصدر الاعظم (٣٢) ويرى غيب وباوون انه بسبب ما جرت عليه عادة السلاطين في معاملة امهاتهم باحترام كبير فقد كانت مرتبة السلطانة الوالدة اعمز ما تطمح اليه امرأة في دار الحريم (٣٣) .

وكانت السلطانة الوالدة تقيم على مقربة من ولدها السلطان (٣٤) . ويبدو ان التغييرات التي تطرأ على السلطة كانت تجد صدى لها في دار الحريم . فقد جرت العادة على نقل ام السلطان المتوفى وزوجاته وبناته الى « السراي القديم » ، وفي مقابل ذلك تجري عملية نقل والدة السلطان الجديد الى « السراي الجديد » في موكب خاص يسمى « موكب الوالدة » ويركب معها الاعيان ووكيلها « الكتخدا » ومتولي اوقاف السلطان واركان وقف الحرمين الشريفين واغا باب السعادة كما يصطف الانتكشارية في جانبي الطريق لتحية موكبها وفي نهاية المراسم يستقبل السلطان والدته (٣٥) .

اما القادين (٣٦) فهي زوجة السلطان والشخصية التالية للسلطانة الوالدة ويتراوح عدد قادينات السلطان بين اربع وسبع (٣٧) . وترتفع منزلة القادين التي تنجب ولدا بصورة تفوق قرينتها التي انجبت بنتا حتى تقارب مرتبة السلطانات (٣٨) . ويطلق اسم بائش قادين على القادين التي يكون ولدها اكبر اولاد السلطان سنا ، ويفوق نفوذها الاخباريات جميعا (٣٩) ويقول اسماعيل حتي ان الجارية التي تتقدم الى مستوى القادين كانت تلبس الفرو السمور وتقبل الاذيال بين يدي السلطان (٤٠) وعلى العموم فان احب القادينات الى قلب السلطان تدعى « خاصكي » (٤١) وهي بطبيعة الحال

اكثر القادينات جاذبية وسحرا ، كما انها تنجب اطفالا . وقدم لنا حتي وصفا طريفا للخاصكيات فيقول :

انهن يلبسن الملابس الرائعة المزينة بازرار الالماس ومذيلة بالفرو ويصل عادة الى المرفق ، كما كان في مقدمة رؤوسهن خصلة من الشعر ويغطي الشال الكشميري رؤوسهن واكتافهن (٤٢) . اما « الكدلكيات » او « المميزات » فليكن القادينات مرتبة . ويذكر أن القادينات والموظفتين الرئيسيتين في الحريم وهما المعلمة والخازنة (٤٣) يخترن من بينهن (٤٤) . وترتدي الكدلكيات الملابس ذات الازديال الطويلة ومع انهن كن لا يلبسن الفرو الا انهن يستعملن نطاقا من الذهب المطعم احيانا بالجواهر (٤٥) . وتلي الكدلكيات مرتبة التلميذات ، وهن السرايا المختارات من بين الصبايا الملاح اللاتي دخلن حديثا الى الحريم وتبذل عناية فائقة في تعليمهن وتربيتهن التربية التي توافق مزاج السلطان وتفكره . وجرت العادة ان تملأ الاماكن الشاغرة بالنابهاة منهن . اما الصنف الاخير من مراتب الحريم فيضم مختلف المتعهدات بالاعمال المختلفة التي تتطلبها الحياة الاعتيادية لدار الحريم . وكان من النادر ان تتسلق نسوة هذه المرتبة الى الدرجات العليا في سلم الحريم (٤٦) .

الخصيان :

كان السلاطين العثمانيون يضعون الحرس من الخصيان على حريمهم ليؤمنوا حمايته ، يكونوا واسطة بين الحريم وبين المجتمع الذي حظر عليهن الاحتكاك به . وهؤلاء الخصيان ، بالاضافة الى كل ذلك ، رقيق يضاف الى ثروة السلاطين . وهكذا اصبح الخصيان جزءا مهما ملحقا بمؤسسة الحريم .

يمكن القول ان استخدام السلاطين العثمانيين للخصيان ، ضمن المهام التي اوكلت اليهم ، قد ارتبط بنوازع نفسية وغريزية تعبر عن قلق السلاطين العميق على شيء نفيس لا يستطيعون منع تجاوز الاخرين عليه . لهذا السبب ايضا يعمدون الى اطفاء الغريزة الجنسية لهؤلاء الحرس عن طريق اخصائهم . وعمليا فقد كان ذلك ممكنا ما دام موقعهم الاجتماعي كعبيد يتيح لمالكهم ان يتصرفوا بهم تصرفا مطلقا .

وتشير بعض المصادر الى تحول السلاطين عن استخدام الخصيان البيض الذين كانت بلاد القوقاز مصدر الغالبية العظمى منهم ، وذلك منذ عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ — ١٥٩٥ م) حين استعاض عنهم بالخصيان السود (٤٧) . ومن المحتمل ان يكون هذا التحول ناجما من شعور السلاطين بوجود تعاطف بين خصيانه البيض وسرايا حريمه — غالبيتهم من بلاد القوقاز

— وهكذا أصبح للخصيان السود بمرور الزمن الكلمة العليا ، كما وقعت المناصب العليا في جهاز الخصيان واعظمها منصب (أغا باب السعادة) بأيديهم (٤٨) .

وأصبح السودانيون المصدر الرئيسي للخصيان السود ، ويقال بأن التجار الاقباط كانوا يتولون عملية خصائهم منذ حداثة سنهم وذلك في اثناء نقلهم من السودان الى مصر . وفي مصر تقوم هيئة خاصة بالاشراف على تعليمهم وتدريبهم املا في أن تتاح الفرصة المناسبة لتقديمهم هدية الى السلطان .

ان موقع الخصيان بين الحريم ادى الى تالق نفوذهم وقد استتبع ذلك ، بطبيعة الحال ، تدخلهم في شؤون السلطة والادارة وفي هذا المعنى يقول احد الباحثين :

« قد تصبح احدى السرارى تادلين افندي او والدة سلطان فتكون اكبر سيدات القصر والسلطة مقاما فلا تنسى الخصى الذي كان يخدمها ولا رئيس الخصيان فتشملها بعطفها الخاص . » (٤٩) .

وهكذا أصبح للخصيان نفوذ عظيم لا في مؤسسة الحريم فحسب ، بل امتد مع امتداد نفوذ الحريم الى الحياة العامة ايضا . واصبح « اغا باب السعادة » شخصية مرموقة تلي في اهيبتها شخصية الصدر الاعظم وشيخ الاسلام . وعهدت اليه مهمة الاشراف على اوقاف الحرمين في مكة والمدينة المنورة (٥٠) .

وقد بقي الخصيان جزءا مهما ملحقا بمؤسسة الحريم كما بقيت اعمال خصاء العبيد بمثابة المعين الذي يمد مؤسسة الحريم بهؤلاء الخصيان . ويذكر ان محاولة لاقضاء نفوذهم جرت في عام ١٧١٥ حين امر الصدر الاعظم شهيد علي باشا بايقاف عملية الخصاء على امل قطع دابرهم . غير أن محاولته باءت بالفشل (٥١) .

ميزانية الحريم :

ان توسع (٥٢) مؤسسة الحريم جعلها احدى اهم المؤسسات العثمانية المستهلكة للثروة والاموال (٥٣) . وان تطور هذه المؤسسة كان يعبر عن زيادة مظاهر الثراء عند سلاطين آل عثمان . على أن حجز هذا العدد الكبير من الجواري والخصيان داخل الحريم السلطاني ادى الى تضخم النفقات المخصصة للعائلة السلطانية بصورة مطردة مع توسع هذه المؤسسة وزيادة هيمنتها ونفوذها في الدولة .

وهكذا قدر للحريم أن تكون مؤسسة طفيلية ساهمت في انهك موارد البلاد ، كما شكلت عبئا على الاقتصاد العثماني بشكل عام . واستثمرت هذه المؤسسة جهود وامكانيات مئات الالوف من رعايا الدولة العثمانية . يقول هملتون غيب :

« ثم نجحت بعد ذلك بعض النسوة في الحصول حتى على حكومة الولايات التي كن يدرنها عن طريق مندوبين لم يكونوا يرونهن بطبيعة الحال » (٥٤) . وينسب محمد كرد علي الى المؤرخين الاتراك قولهم : « بان خـراج ايالة الشام كله كان يعطى للمرأة السابعة من نساء السلطان ابراهيم ١٦٤٠ — ١٦٤٨ ، وكان الجابي يأتي دمشق فيجيبها بنفسه ، لان نساء القصر لم يكن يأمن احدا من الولاة والمتصرفين على جبايتها من الامة » . (٥٥)

والواقع انه ما دام هذا المتاع (الحريم) قد استطاع أن يجعل السلطان وهو مالك البلاد والرقاب ، تحت نفوذهن فان ثروة البلاد ورقاب العباد كانت تحت تصرفهن ورهن ارادتهن (٥٦) .

يقول محمد جميل بيهم بان نفقات الحريم في عهد السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ — ١٦٨٧) بلغت ٣٣ ٪ من موارد الدولة ، كما انها كانت تتجاوز الـ ١٠ ٪ من دخل الحكومة في عهد اسـلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١) (٥٧) . وفي عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١ — ١٨٧٦) كانت مخصصات السلطانة الوالدة خمسين الف ليرة في السنة . كما بلغ مجموع نفقات مؤسسة الحريم (٥١٠) الاف ليرة عثمانية (٥٨) .

لقد بولغ كثيرا في النفقات المخصصة للحريم (٥٩) ، ومن خلال كل ذلك يتضح مدى الاسراف والبذخ الذي كانت تتمتع به مؤسسة الحريم (٦٠) .

تطور وظيفة الحريم واثره في تدهور العائلة السلطانية :

اضحى الحريم بمرور الزمن مدرسة لتدريب السرايا والمحظيات ليؤدين دورا ممتازا في خدمة السلطان ومتعته . ويمكن التمييز بين نوعين من النشاطات ، شمل الاول منها الاعمال المنزلية كالخياطة والتطريز والتربية العامة . اما النشاط الثاني فشمل الفنون كالموسيقى والرقص مثلا . وكانت السرايا عموما يتعلمن القراءة والكتابة والتعاليم الاسلامية . (٦١) .

وعندما يعشق قلب السلطان واحدة من هذه الفتيات تصبح محظية وتعلو منزلتها كثيرا وتنقل بسرعة الى مقصورة خاصة حيث يجري اعدادها للسلطان وتهرع السرايا الاخريات لخدمتها وبضمنهن المحظية السابقة . (٦٢) ويبدو واضحا أن وضع المحظية أو مستقبلها كان يعتمد على قدرتها في اسر قلب السلطان اطول فترة ممكنة كي تتاح الفرصة امامها لانجاب طفل منه .

يمكن اعتبار انجاب المحظية ابنا للسلطان اخطر تحول شهده الحريم ، وذلك لانه ادى الى تحول الحريم من عنصر يقوم على خدمة السلطان ومتعته الى ركن اساس في بنية العائلة السلطانية ، فهو يتولى انجاب ولاة العهد والاشراف على تربيتهم . وقد ادى ذلك الى تطور مؤسسة الحريم وزيادة الدور الذي تلعبه في الحياة العامة قاطبة . واصبحت وظيفة انجاب الامير وتربيته تعني وسيلة مهمة للتمتع باخطر نفوذ والحصول على اعظم الامتيازات . وهكذا وبمرور الزمن انقلب الاهتمام الشديد بالامير الصغير ورعايته — وهو ما كان يحصل في السابق — الى قلق دائم مصدره الخوف على حياته التي صارت هدفا للمتآمرين الذين ينشدون مصالحهم ومنافعهم عن طريق تمكين ابن احدى قادينات السلطان او محظياته من الوصول الى العرش .

ولذا فقد اتخذت الاجراءات الكفيلة بتربية المولود في سني عمره الاولى في احضان والدته حتى سن الثانية عشرة . ثم يتغير وضعه بعد ذلك السن ، وينقل الى مكان منفرد يستتبعه في العادة تعيين عدد من المحظيات اللاتي يتخذ الامير منهن حريما لنفسه ينقطع معه عن العالم (٦٣) وجدير بالملاحظة ان هذا الانتقال كان موافقا للتطور الذي شهدته نظم السلطنة ووراثة العرش (٦٤) فالعادة السابقة ، التي جرى عليها السلاطين في نقل الامراء بعد سن الثانية عشرة الى حكومات الاقاليم ، ادت الى تشجيعهم على التمرد والعصيان املا في الوصول الى السلطنة . على ان ابعاد الامير عن السلطة كان يعني ، من وجهة نظر العثمانيين ، اما قتله او بقاءه رهينة في مقصورته بين الحريم والخصيان طيلة حياته وينطبق هذا الوصف بشكل خاص على معظم سلاطين المرحلة الثانية من عمر الدولة العثمانية . (٦٥) وقد ادى ذلك الوضع وتلك التربية — على حد تعبير هارولد لامب — الى (استنزاف حيوية العثمانيين) و « جاءت بسلاطين معقوهين غير قادرين على تولي امور الدولة » (٦٦) والمرجح انهم كانوا كذلك . فهم سلاطين منقادون الى حريمهم اللاتي كن يؤلفن حتى وصول السلطان الى العرش كل شيء في حياته . ومن ناحية اخرى يبدو للدارس تطور نظم مؤسسة السلطنة ان حالة شاذة كانت تحيط في اماكن اقامة اولئك الامراء ما دام الموت لهم بالمرصاد . وقد جعل ذلك من الخوف والقلق والاضطراب سمة لشخصية بعضهم (٦٧) .

وقد وصف محمد جميل بيهم صورة واقعية لشخصية الامير سليم الذي كان وليا للعهد في زمن السلطات عبد الحميد الثاني وكان هذا الامير قد وصل الشام وحل ضيفا على عائلة الكاتب . يقول بيهم ان سليمان كان مضطربا يتلفت يمينا وشمالا بدون مبرر .

وارتبطت هذه الصورة عن حياة الامراء والسلاطين العثمانيين بشكل مباشر بالقصر والحريم . وتأتي عزلتهم عن المجتمع سببا مهما في تخلفهم وضعفهم سواء كانت تلك العزلة بارادتهم عندما اطلقوا العنان للحريم أم كانت مفروضة عليهم بسبب تطور نظم وقواعد مؤسسة السلطنة ووراثة العرش . وتقويم ذلك يعود في النهاية الى أن السلاطين العثمانيين اعتمدوا (بشكل يفوق تماما جميع من سبقهم من حكام) على مؤسسة غير مهيئة نفسيا لان تقوم بمهمة التربية . وهكذا لم يعد بالامكان مطالبتها بالمهام التربوية التي تؤديها الاسرة السوية . ويعود ذلك الى موقع الرقيق الاجتماعي حينذاك والذي مسخته طبيعته المادية باعتباره متاعا . وفي مقابل ذلك فان الزواج الشرعي القائم على النظم والقوانين او الاسس والتقاليد الاجتماعية كان مصدر القوة في الاسر العثمانية التي انجبت سلاطين المرحلة الاولى من عمر الدولة العثمانية .

تنافس الحريم على امور السلطنة والحكم :

دأب المؤرخون العثمانيون على تدوين الاحداث المهمة في التاريخ العثماني من خلال استعراض السلاطين العثمانيين حسب توالي حكمهم . ومن الطريف هنا أن نسجل الاحداث المهمة في حياة عدد من سلاطين آل عثمان وذلك من خلال استعراض عدد من مشاهير نسوة الحريم .

نالت حرم سلطان وهي زوجة السلطان سليمان القانوني ، شهرة واسعة بسبب تأثيرها على السلطان ونفوذها لديه ، عرفها الناس « بالضحافة » وفي اوروبا باسم روكسلانة .

اقدمت على سابقة خطيرة في التدخل في شؤون الدولة : فلأجل تعيين زوج ابنتها رستم باشا صدرا اعظم الى التآمر على الصدر الاعظم احمد باشا الذي ارسل الى الموت عام ١٥٥٥ بعد أن اتهم بالاشتراك في الدسائس التي تتعلق بآدارة مصر (٦٩) . وخططت ايضا لقتل الامير مصطفى ابن السلطان سليمان من زوجته كلبهار وذلك لتفسيح الطريق امام ولدها بايزيد كي يصل الى عرش السلطنة . (٧٠) وقد سخرت لهذا الغرض زوج ابنتها الصدر الاعظم رستم باشا . وهكذا قتل الامير مصطفى الذي يروى انه كان يتمتع بشخصية قوية وجذابة بعد أن اتهم بمحاولة اثارة الجيش على والده اثناء حملة عسكرية على بلاد فارس (٧١) ومع ذلك فان قتل الامير مصطفى لم ينه المسألة تماما . فبعد وفاة روكسلانة عام ١٥٥٨ قامت منافسة شديدة بين بايزيد وشقيقه سليم انتهت بفرار بايزيد الى بلاد فارس . غير أن الشاه طهماسب عمد الى تسليمه فقتل في عام ١٥٦١ . (٧٢) وفي تاريخ مؤسسة الحريم اشتهرت بعد حرم سلطان امرأة اخرى عرفت باسم نور بانو وكانت

محظية للسلطان سليم الثاني (١٥٦٦ — ١٩٧٤) ثم قادين له . ويقال عنها بانها لعبت دورا مهما في شؤون الدولة خاصة بعد أن تربع ولدها السلطان مراد الثالث ١٥٧٤ — ١٥٩٥ على العرش . ويذكر بان نفوذ السلطانة الوالدة نوريانو بلغ من القوة بحيث انها نقلت بلاط السلطان الى قصر الحريم (٧٣) .

ولم تكن السلطانة الوالدة نوريانو هي المرأة الوحيدة التي تمتعت بنفوذ على السلطان مراد الثالث فقد اشتهرت نسوة اخريات كانت من ابرزهن فتاة بندقية عرفت باسم صفية . اما الثانية وهي جان فيدا التي كانت قايا في الحريم فانها لم تمارس نفوذها بسبب جمالها ولكن في قدرتها على اظهار مفاتن الاخريات امام السلطان (٧٤) .

وقد نافست محظية السلطان الجديدة (صفية) السلطانة الوالدة نوريانو وحاولت اقضاء نفوذ الاخيرة عن دار الحريم ، غير أن نوريانو تشبثت بنفوذها وسلطتها عن طريق ابعاد ولدها عن صفية . ويقال انها كانت تنتقي الفتيات الحسان لولدها السلطان املا في أن يكون ذلك سببا لابتعاده عن صفية . وعلى اية حال فان صفية كسبت الجولة الاخيرة واضحت فيما بعد السلطانة الوالدة حينما تربع ابنها باسم السلطان محمد الثالث ١٥٩٥ — ١٦٠٣ . وكانت صفية قد بذلت جهودا كبيرة من اجل ايصاله الى عرش السلطنة ويقال انها كانت سببا في قتل تسعة عشر ولدا من ابناء السلطان مراد الثالث من محظيات اخريات (٧٥) .

واستلمت السلطانة الوالدة صفية زمام الحكم بنفسها في مناسبات عديدة وقامت خلال تغيب السلطان عن العاصمة باجراء تغييرات وتعيينات في مناصب القضاء والادارة وقد وافق السلطان على اجراءاتها جميعا . (٧٦) ونجحت البندقية بتأثير صفية في الخلاص من ضغط الجيوش والاساطيل العثمانية (٧٧) ، كما نالت امتيازات مهمة مشابهة للامتيازات التي نالتها فرنسا في عهد السلطان سليمان القانوني (٧٨) .

ومن مشاهير الحريم العثماني السلطانة الوالدة كوسيم التي برزت خلال عهد السلطانين مراد الرابع ١٦٢٣ — ١٦٤٠ وابراهيم ١٦٤٠ — ١٦٤٨ ويبدو تأثير كوسيم في الحياة السياسية العثمانية في انها استطاعت انقاذ العرش العثماني من الانهيار . ففي الوقت الذي لم يبق من العائلة العثمانية الحاكمة غير الامير ابراهيم اصدر السلطان مراد الرابع قبيل وفاته اوامره بقتل ابراهيم غير أن الخصيان لم ينفذوا الامر خوفا من السلطانة الوالدة (٧٩) .

وفي عهد السلطان ابراهيم اضحى للحريم نفوذ كبير في مرافق الدولة

كافة ويقال أن نفوذ السلطنة الوالدة (كوسيم) بلغ بعيدا حتى انها شاركت في مشاورات تجديد المعاهدات مع الدول الأوروبية (٨٠) .

على أن نجم كوسيم بدأ بالانحلال بعدما أمر المفتي بقتل السلطان ابراهيم ونصب مكانه السلطان (القاصر) محمد الرابع ١٦٤٨ — ١٦٨٧ وقد نجحت السلطنة الوالدة الجديدة (طرخان سلطان) في اقضاء نفوذ كوسيم حيث كانت الظروف مهيأة لنجاح طرخان سلطان بطبيعة الحال (٨١) .

ولم يقتصر دور الحريم على النسوة الرئيسات في القصر بل ، تعدى ذلك الى نسوة تمتعن بمراكز ادنى من تلك المراكز التي نالتها النسوة المشار اليهن سابقا . ولعل من ابرز النسوة الاخريات القادينات اللاتي لا ينجبن اطفالا والسرايا اللاتي منحن حرياتهن . لقد كان الكثير من الطموحين والمتآمرين يتنافسون من اجل الزواج باحداهن نظرا لعلاقتهم وصلاتهن القديمة بالحريم ، وباستطاعتهم التأثير على السلطان أو على احدى قاديناته والسلطان الذي عاش في كنف الحريم لا يرد لهن طلبا .

« ان كلمة من قادين كانت تصنع الاعاجيب أحيانا » (٨٢) .

لقد أدى انشغال السلطان بالحريم الى بروز مكانة للصدر الاعظم كما حصل ذلك في عهد صوقللي باشا (٨٣) والصدور العظام الثلاثة الذين جاءوا بعده (٨٤) . ومع ذلك فقد قيل أن الصدر الاعظم كان يبذل جهودا عظيمة من اجل الحفاظ على كرسيه حتى اصبحت الصدارة العظمى وظيفة خطيرة وترقية مشؤومة (٨٥) .

وهكذا كان البلاط العثماني واقعا تحت تأثير الحريم السلطاني وانعكس هذا التأثير على الحياة العثمانية عموما .

الخلاصة :

هذا البحث هو محاولة لدراسة جانب من التاريخ الاجتماعي للدولة العثمانية . فهو يتناول العائلة السلطانية والتيم والمثل التي نشأت عليها ثم تطورها الى مؤسسة مهمة عرفت بمؤسسة الحريم . وقد حاول البحث تقويم دور الحريم السلطاني استنادا الى عوامل تأثير اقتصادية ونفسية تركت بصماتها الواضحة عليه . وقد اظهرت الحقائق التاريخية اوضاع الحريم السلطاني وخاصة حياته الباذخة ونفقاته الكبيرة .

والحريم السلطاني في الدولة العثمانية كان من الرقيق وتحددت وظيفته لاغراض الاستمتاع . وقد أدى تطور وظيفته وقيامه بانجاب الامراء — ولاية

العهد — وتربيتهم الى نتائج سيئة على العائلة السلطانية واتسعت ابعاد هذه النتائج السيئة من العائلة السلطانية الى الحياة العامة . ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مسألتين مهمتين هما : —

١ — التنافس الشديد على السلطة داخل مؤسسة الحريم .

٢ — التأثير على الاوضاع العامة داخل الدولة العثمانية وخارجها .

فعلى الامتداد الزمني لهذه المؤسسة وخاصة في فترة تعاضل نفوذها يمكن تعقب التنافس بين قوتين تبدوان عموما من خلال المراتب الوظيفية في هذه المؤسسة . وقد أصبح واضحا ان الوصول الى مرتبة السلطنة الوالدة (وهو اعلى مركز يمكن ان تصل اليه امرأة في الحريم) يعني كفاح الطبقة الادنى نفوذا في الحريم ضد سلطة ونفوذ السلطنة الوالدة . وكان ذلك الكفاح ينتهي عموما بظهور امرأة جديدة قادرة الى حد ما على شق الطريق لمركز السلطنة الوالدة . لقد كانت وسائل ذلك الكفاح واساليه رهيبة في اغلب الاحيان . وكان وريث العرش يتأرجح بين الاطراف المتنافسة . كما ان مستقبل السلطنة وشخصية السلطان الجديد كانا يتحددان في الغالب في ظل تلك الظروف . وقد استهلك كل ذلك طاقات مادية وبشرية كبيرة وذهب ضحيته وزراء قادة وامراء وسلطين ناهيك عن انهالك البلاد وتبديد مواردها .

الهوامش

- (١) حول ذلك انظر : —
مليتون كب وهارولد باوون ، المجتمع الاسلامي والغرب ، ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى ومراجعة د. احمد عزة عبد الكريم ج ١ (القاهرة ١٩٧١) ص ١٠٦ ، كذلك Ismail Hakki Uzuncarsili, Osmanli Devletinin Saray Teskillati, (Ankara, 1948). P. 146.
- (٢) Ibid. ويقول حتي بان السلطان عاين الثاني (١٦١٨ — ١٦٢٢) خرج عن هذه القاعدة وتزوج من ابنة شيخ الاسلام سعيد افندي .
- (٣) هارولد لامب ، سليمان القانوني سلطان الشرق العظيم ، ترجمة شكري محمود نديم (بغداد ١٩٦١) ص ١٥٧ .
- (٤) M. P. Price, A History of Turkey, (New York 1968 pp. 49-50).
- (٥) انظر في ذلك : —
ابن منظور ، لسان العرب ، مادة : حرم (بيروت ١٩٥٦) مجلد ١٢ ص ص ١١٩ — ١٢٠

- (الفيروز ابادي **القاموس المحيط** ، مادة : حرم مؤسسة من الطباعة (القاهرة ١٩١٣) ج ٤ ص ٩٤ - ٩٥ بطرس البستاني **المحيط المحيط** (بيروت) ج ١ أ - ش ص ٣٨٣ .
- (٦) Encyclopaedia of Islam, The Subject Harim, Vol. III, Printed In Nether-lands, P. 209; Hakki, Op. Cit., P. 147.
- (٧) جمع سرية وهي المرأة التي تفقد حريتها .
- (٨) من الحضوة .
- (٩) أنظر مصطلح الخصيان فيما يلي في البحث .
- (١٠) Encyclopaedia of Islam, P. 209; The Oxford English Dictionary, The Subject Harem, (London 1961) Vol. V.P. 92.
- (١١) A. H. Lebyer, The Government of the Ottoman Empire, (New York 1966), pp. 56 - 57.
- (١٢) محمد كاظم الطباطبائي ، **العروة الوثقى** (بغداد ١٣٣٠ هـ) ج ٢ ص ١٣٣ .
- (١٣) كارل بروكلمان ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة نبيه نارس ومنير البعلبكي (بيروت ١٩٦٥) ص ٥٦ .
- (١٤) حول هذا الموضوع انظر : —
- المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ، **موسوعة جمال عبد الناصر في الفقه الإسلامي** (القاهرة ١٩٧٠) ج ٧ ، ص ١٦ .
- (١٥) **المصدر نفسه** ص ٦ وما بعدها .
- (١٦) **المصدر نفسه** (ص ٢٧) .
- (١٧) كان ثمن الاسبر كما تقرر حينئذ هو (١٢٥) اتجة او قطعة من الفضة Asper عن ذلك راجع كب وباوون المصدر السابق ج ١ ص ٦٢ هامش رقم (١) وعن الاتجة وتطور قيمتها انظر مادة Asper في The Oxford English Dictionary Vol. I, pp. 493—494
- (١٨) لعل نظم جمع الغلمان « الدوشرمة » (جمع الاطفال الذكور غير المتزوجين من الرعايا المسيحيين بعد انتزاعهم من اباؤهم في سن تتراوح ما بين العاشرة والعشرين والنزول بهم الى مستوى الرق ثم تدريبهم على خدمة الدولة) انظر في ذلك كب وباوون ، **المصدر السابق** ، ج ١ ص ٦٣) كان مظهرا من مظاهر ذلك الاهتمام ورغم أن الدوشرمة أصبحت دعامة لنظام عسكي في الدولة العثمانية هو « الانكشارية » أو « الجيش الجديد » الذي انشئ عن طريق تزويد فرقتها عملا بـ (أناوة بنجة) اي استيفاء واحد من كل خمسة صبيان من ابناء المسيحيين المنسوبة الى عهد السلطان اورخان ١٣٢٦ - ١٣٦٠ فان بعض الباحثين يشبهون الاسلوب الذي اتبعته الدولة العثمانية في تجنيد هؤلاء الغلمان بالاساليب الحديثة التي اتبعت في جمع الرقيق في افريقيا . (انظر دائرة المعارف الإسلامية طبعة طهران مادة دوشرمة ، مجلد ٩ ص ٣٢٠) وعلى أية حال فان من الصعوبة أن يقطع برأي ما اذا كان العثمانيون قد خالفوا الشريعة الإسلامية التي لا تبيح للحاكم المسلم أن

أرغم الذميين على أن يسترق ابنائهم (وهو الرأي الذي يأخذ به كلمان هوار Cl. Huart دائرة المعارف الاسلامية مادة انكشارية مجلد ٣ ص ٧٧) أو أن العثمانيين تصرفوا بوحى الشريعة الاسلامية التي اعتبرت الاسرى من النساء والصبية رقيقا ، لانهم جزء من الغنائم التي لا يجوز التفريط بها ، كما لا يجوز قتلها ، وبالتالي فان اجراءات العثمانيين تلك ستكون لاجل دعم المسلمين وخدمة الدولة الاسلامية .

(١٩) كب وبازون المصدر السابق ج ١ ص ١٠٩ .

(٢٠) المصدر نفسه الصفحة نفسها ، انظر ايضا هارولد لامب المصدر السابق ص ٣٦٤ .

(٢١) وكان يقوم بهذه المهمة أمين جمرک استانبول انظر Hakki, Op. Cit., P. 147.

(٢٢) انظر : Hakki, Op. Cit., P. 146 حديثه بشكل خاص عن الجواري المستفرشات .

(٢٣) بعد ان تطورت وظيفة الحريم صارت بعض الجواري يقمن في دار الحريم بصفة دائمة وخاصة من تصبح اما لاحد اولاد السلطان أو لاحدى بناته . انظر كب وبازون ، المصدر السابق ج ١ ص ١٠٩ .

(٢٤) انظر عنهم ما يلي في الصفحات التالية .

(٢٥) حيلة البلطات .

(٢٦) Ruphaela Lewis, Everyday Life in Ottoman Turkey, (London 1971) pp. 61—62.

(٢٧) (الآية السابقة « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ... ») وذلك في قوله تعالى « وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » (آية ٣٣/ الاحزاب) وفي « قرن » معان عديدة القرار في الدار احدها (انظر تفضيل ذلك في تفسير الطبري ج ٢٢ ص ٣ ، والكشاف ج ٢ ص ٥٣٧ . وقد عد ذلك توجيهها للنساء المسلمات .

(٢٨) Lewis Op. Cit., P. 62

(٢٩) يقول كب وبازون المصدر السابق ، ج ١ ص ٥٦—٦٦ .

« ويكني هنا أن نقول انه لم يأت القرن الثامن عشر الا وكان النظام كله القائم على وجود هيئة حاكمة من العبيد قد تهاوى اذ انتزع المسلمون الاحرار تقريبا كل الوظائف في هذه الهيئة الحاكمة مما تخضع عن نتائج وخيمة . وفي الوقت نفسه لم يكن هذا التغيير موضع الاعتراف على الاطلاق ... لهذا كانت الهيئة الحاكمة هذه لا تزال توجد باسرها على الورق دون ان يطرأ عليها ادنى تغيير ، واغرب من هذا أن كسل المتهمين اليها كانوا لا يزالون يعتبرون عبيدا للسلطان بالرغم من أنه لم تكن سوى اقلية ضئيلة تصلح في الواقع لان تكون كذلك » .

(٣٠) يقول اسماعيل حتي أن استعمال مصطلح السلطنة الوالدة كان حديثا نسبيا . نقصد اطلقه السلطان مراد الثالث ١٥٧٤ — ١٥٩٥ على والدته ثم سار على نهجه السلاطين الآخرون . أما التسمية السابقة لوالدة السلطان فهي « مهد العليا » .

Hakki, Op. cit., P. 154.

(٣١) محمد جميل بيه ، فلسفة التاريخ العثماني (بيروت ١٩٥٤) ص ٥٥ .

- (٣٢) كب وبأون ، المصدر السابق ص ١٠٧ .
- (٣٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٣٤) وكانت السلطنة الوالدة تدعو ابنها السلطان بلقب (أسدي) وقد ظل التعبير مستعملاً حتى أواخر العهد العثماني . انظر . Hakki, Op. Cit., P. 158.
- (٣٥) Hakki, Op. cit., P. 154.
- (٣٦) قادين في التركية تعنى امرأة وفي الغالب امرأة محترمة من الاصل قادا مق = أن يأمر انظر : كب وبأون ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١٠٦ هامش رقم (٢) .
- (٣٧) Hakki, Op. Cit., P. 148.
- (٣٨) اللقب الذي يمنح لبناات السلاطين ، انظر ، كب وبأون ، المصدر السابق ص ١٠٧ .
- (٣٩) محمد جميل بيهم ، المصدر السابق ص ٥٥ ، ٥٦ .
- (٤٠) Hakki, Op. Cit., P. 149.
- (٤١) اي المحبوبة .
- (٤٢) Hakki, Op. Cit., P. 149.
- (٤٣) تتولى المعلقة مسؤولية الحفاظ على النظام داخل الحريم اما الخازنة التي كانت تخضع لامرة المعلقة فتناط بها مسؤولية اقتصاديات الحريم انظر : كب وبأون ، المصدر السابق ص ١٠٨ .
- (٤٤) المصدر نفسه الصفحة نفسها .
- (٤٥) Hakki, Op. Cit., P. 149.
- (٤٦) عن الصنفين الاخيرين انظر : كب وبأون ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
- (٤٧) كب وبأون ، المصدر السابق ج ١ ص ١١١ .
- (٤٨) المصدر نفسه ، ج ٢ ص ١٩٩ .
- (٤٩) يوسف الحكيم ، سورية والعهد العثماني ، المطبعة الكاثوليكية (بيروت ١٩٦٦) ص ٢١ .
- (٥٠) Lebyer, Op. Cit. pp. 124 - 125.
- (٥١) كب وبأون ، المصدر السابق ، ج ١ ص ١١١ انظر ايضا Hakki, Op. Cit., P. 172.
- (٥٢) بدأ ذلك منذ عهد السلطان سليمان القانوني يقول عنه Lebyer . المصدر السابق p. 57 ان حريمه ضم (٣٠٠) امرأة .
- (٥٣) يقول محمد جميل بيهم المصدر السابق ص ٥٤ ان توسع الحريم ادى الى ظهور دوائر عديدة تتولى ادارة شؤونه وتلبية حاجاته . ومن تلك الدوائر دائرة السلطنة الوالدة ودائرة خزنة دار أوسطة (الخازنة) ودوائر باشى قادين وعددها اربعة ودوائر باشى

اقبال وعددها ثلاثة وهي خاصة بالمحظيات ودوائر تان افندي وهي خاصة بامهات ابناء السلطان وبناته ودوائر السلطانات وهي خاصة بالاميرات الاوانس والعوانس .

(٥٤) المصدر السابق ج ١ ، ص ١١٠ .

(٥٥) خطط الشام (دمشق ١٩٢٧) ج ٥ ص ٨٢ وجدير بالذكر أنه منذ حوالي منتصف القرن السابع عشر أصبحت مناصب الولايات الرئيسية في بلاد الشام مظهرا لنظام الالتزام الذي اتبعته الدولة العثمانية في جباية الإيرادات انظر : عبد العزيز محمد عوض الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ - ١٩١٤ (القاهرة ١٩٦٩) ص ١٨٢ - ١٨٣ .

(٥٦) يروي الرحالة سندرسن J. Sanderson ان السلطانة الوالدة صفية (زوجة مراد الثالث رأت في أحد الايام قوارب تحمل امرأة زانية كان ينفذ فيها حكم الموت غرقا (حسب العادة المتبعة على حد قوله) وذلك باهر من الصدر الاعظم حسن باشا فارسلت رئيس الخصيان لتقصي الامر وعندما احيطت علما بالموضوع بعثت الى الصدر الاعظم تأمره بالكف عن اجراءاته وان عليه أن يهتم بشؤون البلاد لا أن يقوم باغراق الابرياء : وذكرت الصدر الاعظم بأنه اذا أراد الحفاظ على منصبه فما عليه الا أن يتمثل لامرأها . وقد رأت صفية أن تقطع رأس الصدر الاعظم بعد عودة ولدها السلطان محمد الثالث (١٥٩٥ - ١٦٠٣) الذي كان غائبا عن الاستانة . انظر :

The Travels of John Sanderson In the Levant 1584 - 1602, Edited By Sir William Foster, (London 1931), P. 87.

(٥٧) محمد جميل بيهم ، المصدر السابق ص ٢٦ - ٢٧ .

(٥٨) عبد العزيز محمد عوض ، المصدر السابق ص ٢١١ .

(٥٩) يقول بيهم ، المصدر السابق الصفحات السابقة بان النسبة المخصصة لرواتب موظفي الدولة تاطبة او مخصصات وزارة الحربية العثمانية لم تتمتع النسبة التي وصلت اليها ميزانية الحريم .

(٦٠) قدرت مدام مونتكوي (التي عاشت في دار الحريم) ثمن ملابس حفصة خاتون زوجة السلطان مصطفى الثاني بـ (١٠٠ / ١٠٠) ليرة انكليزية وتقول أيضا بان املاك اية ملكة انكليزية تكاد تانبة امام املاك حفصة خاتون انظر . Hakki, Op. Cit., P. 153.

(٦١) Dabyer, Op. Cit. pp. 78 - 79.

(٦٢) يقول هارولد لامب المصدر السابق ص ٩١ .

« واما الآن فانها علالة (وضع السلطان سليمان القانوني منديلا على كتف روكسلانة) تدل على رغبته في مضاجعتها وبحسب ثانون الرحيم كان على كلبهار (قرينة السلطان) ان تهيء الفتاة السلافية ليلتها الاولى مع سيدها » .

(٦٣) محمد جميل بيهم المصدر السابق ص ٢١ .

(٦٤) كانت التطورات الرئيسية التي شهدتها نظم السلطنة وورانة العرش كما يأتي :
١ - استبدلت قاعدة قتل السلطان لاختوته في نهاية القرن السادس عشر بقانون جديد أصبح بمقتضاه جميع الامراء (باستثناء ابناء السلطان الحاكم) يسجنون فسي

مقصودات خاصة في القصر يقضون فيها حياتهم بعمدين عن العالم وليس في صحبتهم
غير القليل من الخصيان والجواري .

ب — لم يكن السلاطين العثمانيون يسمحون لأطفال الامراء من الجواري بمواصلة الحياة
وهكذا صار اسم الامراء ينطبق على أبناء السلطان الحاكم وأبناء السلاطين
السابقين .

ج — عندما توفي السلطان احمد الاول عام ١٦١٧ كان إبنائه دون سن الرشد ولما نصب
أخوة المجنون مصطفى الاول (١٦١٧ — ١٦١٨) سجين الحريم تم تشريع قانون
جديد أصبح امرا لازما بمقتضاه أن يقضي وريث العرش فترة سجين تلك المتصورة
الرهبية . انظر كب وباوون المصدر السابق ج ١ ص ٥٤ — ٥٦ .

(٦٥) وفقا للتطورات التي شهدتها نظم السلطنة ووراثة العرش . انظر ما سبق .

(٦٦) هارولد لامب ، المصدر السابق ص ٣٥٤ .

(٦٧) انظر على سبيل المثال ما يذكر عن « السلطان ابراهيم بن أحمد في دائرة المعارف الاسلامية
طبعة طهران مجلد ١ ص ٢٩ — ٣١ . وجدير بالذكر أن هناك وصفا مبالغا فيه يذكره
هارولد لامب . انظر الصفحات ٣٥٥ — ٣٥٧ من كتابه آف الذكر .

(٦٨) محمد جميل بيهم ، المصدر السابق ، ص ٢١ .

(٦٩) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة احمد باشا مجلد (١) ص ٦٠ .

(٧٠) المصدر نفسه ، مادة سليم الثاني مجلد ١٢ ص ١٣١ كارل بروكلمان المصدر السابق
ص ٥٦ — ٥٧ .

(٧١) هارولد لامب المصدر السابق ، ص ١٥٥ — ٢٧٣ — ٢٧٥ ،

(٧٢) دائرة المعارف الاسلامية ، مادة سليم الثاني المجلد السابق الصفحة السابقة .

(٧٣) E.S. Creasy, History of the Ottoman Turks (Beirut 1961), p. 226.

(٧٤)

(٧٥) هارولد لامب المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ . بيهم المصدر السابق ص ١٤ .

(٧٦) Hakki, Op. Cit. P. 158. انظر ايضا الهامش رقم (٥٦) .

(٧٧) Creasy, Op. Cit, P. 225.

(٧٨) محمد جميل بيهم ، المصدر السابق ص ١٤ .

(٧٩) هارولد لامب المصدر السابق ص ٣٥٤ — ٣٥٧ .

(٨٠) اسماعيل سرهنك ، حقائق الاخبار عن ول البحار ج ١ (القاهرة ص ٥٨٣) .

(٨١) هارولد لامب ، المصدر السابق ص ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(٨٢) كب وباوون المصدر السابق ، ج ١ ص ١١٠ .

(٨٣) صوئلي محمد باشا الملقب بالطويل من أشهر الصدور العظام في الدولة العثمانية توفي عام ١٥٧٩ وشغل منصب الصدارة العظمى في أواخر عهد سليمان القانوني وطيلة حكم سليم الثاني والسنوات الأربع الأولى من حكم مراد الثالث . انظر مادة صوئلي في دائرة المعارف الإسلامية مجلد ١٤ ص ٢٨٢ - ٢٨٦ .

(٨٤) انظر مادة توجة سنان باشا في المصدر السابق مجلد ١٢ ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .

(٨٥) Lebyer, Op. Cit., P. 165.

انظر ايضا مقتل الصدر الاعظم حسن باشا كما رواه سندرسن هامش رقم (٥٦) .



مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

- مجلة اكاڤيمية فصلية مختصة بالشئون النظرية والتطبيقية في كافة حقول العلوم الاجتماعية ، وتنشر مادتها بالعربية والانجليزية .
- تربطها صلات اكاڤيمية باساتذة ومختصين في كل أرجاء الوطن العربي ، ويساهم في مادتها ويقتنيها اساتذة وقراء في كل من : اندونيسيا - باكستان - الهند - اليونان - تركيا - انجلترا - أمريكا - كندا - الاتحاد السوفياتي - اليابان - ايطاليا - المانيا - فرنسا - الدانمارك - السويد - استراليا .

**The Sultan's Harem
in the Ottoman Empire**

**ABSTRACTS :
I. Gawahiri.**

This research is an attempt to study one aspect of the social history of the Ottoman Empire. It deals, first with Sultan's household, the values and the ideals upon which is it based, and then its evolution into an important institution named the "Harem". The study deals with the structure of that institution and discusses its role.

This paper is also an attempt at the re-evaluation of the Sultan's harem with reference to economic and psychological factors which left their marks. The Sultan's harem in the Ottoman Empire first consisted of slave girls whose function was to give pleasure. However, the evolution of their function and their giving birth to prospective princes, especially crown princes, in addition to bringing them up led to evil consequences for the Sultan's household. Those evil consequences extended into public life. This is noticeable through two significant issues.

- 1) The fierce competition for power within the harem institution.
- 2) The impact of that competition on the state of affairs within the Ottoman Empire and abroad.

Throughout the era of that institution, especially during the zenith of its authority, the rivalry is traceable to two forces which are visible through the scale of offices in that institution.

It has become clear that to attain to the status of the mother of the sultan "Sultana Valida" which is the highest station attainable for a member of the harem meant strife with the less influential strata of the harem against the power of the "Sultana Valida". That strife usually led to the emergence of a new woman who was more or less capable of wending her way to the status of Sultana Valida. The media and manner of the strife were most awful. The heir to the throne used to waver between the conflicting parties. Furthermore, the future of the Sultandom, and the personality of the new Sultan usually united under those circumstances. All that consumed great financial and human energies, and among the victims there were no small number of viziers, commanders, princes, and sultans, let alone the exhaustion and squandering of the country's resources.